Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عقـود هي الـدر الـذي أنت بحـره وذلـك مـا لا يـدعى مثله البحـر

ورتعت منه في:

ريـاض يـد تجني وعـين وخـاطـر تسـابق فيهـا النـور والـزهـر والثمـر

وعلى كل فإن رسائله الخاصة كانت ميداناً فسيحاً لبلاغته، فحلق في جـوها مـا وسعه التحليق، بخيالـه الخصب الـطليب، ممـا يـدل عـلى طـول بـاعـه في أسـاليب البيان، فـوق براعتـه في صـور البـديـع... استمـع إليـه يصف حمـام الرسائل:

«تحمل من البطائق أجنحة، وتجهز جيوش المقاصـد والأقلام أسلحـة، وتحمل من الأخبـار، ما تحمله الضمـائر، وتـطوي الأرض إذا نشرت الجنـاح الـطائـر، وتكون مراكب الأغراض والأجنحة قلوعاً، وتركب الجو بحراً يصفق فيه هبوب الرياح موجاً مرفوعاً، ومن بلاغـات البطائق، استفـادت ما هي مشهـورة به من السجـع، ومن رياض كتبهـا ألفت الـريـاض فهي إليهـا دائمـة الـرجـع، وقـد سكنت النجـوم فهي أنجم، وأعـدت في كنـانتهـا فهي أسهم، وكـادت تكـون مـلائكة؛ لأنها رسـل نيـطت بهـا الـرقـاع، فصـارت أولى أجنحـة مثنى وثـلاث ورباع، وقد بـاعد الله مـا بين أسفـارها، وقـربها وجعلهـا طيف خيـال اليقـظة الـذي صدق العـين ومـا كـذبهـا، تـرغم أنف النـوى بتقـريب العهـود، وتكـاد العيون بملاحظتها تلاحظ نجم السعود، وهي أنبيـاء الطيـور؛ لكثرة مـا تأتي بـه من الأنباء، وخطباؤها، لأنها تقوم على منابر الأغصان مقام الخطباء».

وعلى كل فإن القاضي الفاضل كـان يعنى بما يكتب، ويـوجه إليـه همه الـذي يبـدو على مـلامح وجهـه، يقول عبـد اللطيف البغدادي في وصفـه حينـما دخـل عليـه «رأيت شيخـاً ضئيـلاً كله رأس وقلب، وهـو يكتب ويمـلي عـلى اثنـين، ووجهه وشفتاه تلعب بـألوان الحـركات، لقـوة حرصـه في إخراج الكـلام وكأنـه كان يكتب بجملة أعضائه[1].

---

(١) عيون الأنباء ٢/٢٠٥